

تكون صفته الأولى - بل صفته الكبرى - أن يستغنى عن الوازع وأن يغنى الناس عن محاسبته. وطلب الحق منه . وهذه هي السليقة السابقة الشاملة التي سرت في خلائق محمد وامتزجت بجميع أعمال وأقواله فلم يحاسبه أحد قط كما حاسب نفسه في رعاية حق الصغير والكبير ، وصيانة الحرمات للعاجز والقدير .

هذه علامة رسالة لا علامة أصدق منها ولا أجدر منها بالقبول ، لأنها علامة من داخل السريرة . . وليست علامة من خارجها قد تلازم أو تفارق من تعروه . . وليس للنوع البشرى مقياس صحيح يقاس به محمد فيعطيه مرتبة دون مرتبة الحب والتبجيل . . يعطيه هذه المرتبة من يدين بالإسلام ومن يدين بغير الإسلام ومن ليس له دين من أديان التنزيل .

فليس للنوع لبشرى أصل من أصول الفضائل يرمى إلى مقصد أسمى وأنبل من تقديس تلك المناقب التي كان محمد قدوة فيها للمقتدين .

* * *

عزيمة الزهد والايمان :

وليس أولى بالحب والتبجيل ممن يطلب خير الناس ويزهد في نعمة العيش وهي بين يديه .

فقد ثبت أن محمدا لم يستمتع بدنياه ولم يشبع ثلاثة أيام تباعا حتى مضى لسبيله ، وقالت عائشة رضي الله عنها : « لقد كنت أبكى رحمة له مما أرى به وأمسك بيدي على بطنه مما أرى به من الجوع وأقول : « نفسى لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بقوتك » فيقول : « يا عائشة ! مالى وللدنيا . . إخوانى من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا » . .

وقالت زوجة أم سلمة تصف ما وجدته في بيته ليلة عرسها : « . . فإذا جرة فيها شيء من شعير ، وإذا رحى وبرمة وقدر وكعب فأخذت ذلك الشعير فطحته ثم عصدته في البرمة ، وأخذت الكعب فأدمته ، فكان ذلك طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أهله ليلة عرسه » .